لولا: أحكامها ودلالتها في الحديث الشريف
دراسة تطبيقية في الكتب الستة

يحيى بن محمد حكمي
قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة جازان – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

تناولت هذه الدراسة الحرف: (لولا) بالتحليل والإحصاء فانتظمت في ثلاثة مباحث، خُصص الأول منها لتركيب (لولا) وخلاف النحويين فيه، والثاني لما سمَّاه النحويون: (لولا) الامتناعية، والثالث لما عُرف بـ:(لولا) التحضيضية. وقد سلكت هذه الدراسة مسلك المزاوجة بين التنظير والتطبيق حيث تقوم باستعراض الأحكام النحوية المتعلقة بـ:(لولا) استعراضا نظرياً من خلال ما ذكره النحويون عنها، ثم يتم عرض تلك الأحكام على نصوص الحديث الشريف المشتملة على (لولا) معتمدة على الكتب الستة بالدرجة الأولى، بهدف التطبيق. وقد أفرزت هذه الدراسة نتائج من أبرزها: ترجيح رأي البصريين فيما يتعلق بتركيب (لولا) والعامل في الاسم الواقع بعدها، وتنوع الاسم الواقع بعدها إلى ثلاثة أنواع، وتحديد مدلول (لولا) بحسب السياق الذي ترد فيه، وتحديد أنواع الجملة الواقعة جواباً لـ: (لولا) كما قدمت الدراسة إحصاءً دقيقاً لورود (لولا) في الكتب الستة، وتفرع ذلك الإحصاء على كل المباحث المتعلقة بها بنوعيها.

الكلمات المفتاحية: لولا–التركيب–الامتناع–الحذف–الجواب–الوجود–النفي–الوجوب–التحضيض.

مُقدّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد لا أجانب الحقيقة إذا زعمت أن حروف المعاني ما زالت قادرةً على استيعاب دراسات متخصصة تفصح عن دورها في استجلاء كوامن النص العربي.

ومن جملة تلك الحروف (لولا) إذ إن في ذلك الحرف خصائص تسوغ إفراده بدراسةٍ مفصلة، فهو حرف ذو تركيب خاص، وله دلالات متنوعة، وربما كان لطبيعة تركيبه دور في دلالاته وربما سهل علينا فهم البناء التركيبي لهذا الحرف التحليلَ الدلالي لما يتعلق به في كثير من السياقات؛ لذلك تجردت هذه الدراسة لتناول حرف المعنى (لولا) من حيث تركيبه، وعلاقة ذلك بدلالاته، ودراسة نوعَيه، والقضايا المتعلقة بكل نوع، والدلالات السياقية لهذا الحرف.

وقد اتخذت هذه الدراسة منهج المزاوجة بين التنظير والتطبيق؛ بحيث يعرض الأول اراء النحويين في (لولا) وما يتعلق بها من أحكام، ثم تعرض تلك الأحكام على النص العربي للتطبيق للخروج بنتيجة مدى انطباق تلك الأحكام على نصوص الحديث الشريف.

وقد سار التنظير والتطبيق في هذه الدراسة في خط واحد؛ بحيث يتم التطبيق بعد التنظير مباشرة في كل مبحث من مباحث (لولا) نظراً لتشعب تلك المباحث واحتوائها على نقاط عدة.

ولم أجد بعد كلام الله نصاً أجدر بالدراسة والتحليل والتطبيق من كلام رسول الله ﷺ فهو –ولا ريب– أفصح الخلق لساناً وأكثرهم بياناً.

وقد وقع الاختيار من بين كتب الحديث على أكثرها شهرة، وأوثقها نسبة، وأبعدها عن الضعف، أعني بذلك الكتب الستة: (صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه، سنن النسائي) وفي الوقت نفسه ستقتصر هذه الدراسة على كلام النبي ﷺ دون تعليقات الصحابة والرواة، وإذا تكررت روايات الحديث فإن الدراسة ستختار رواية واحده لتساوي الروايات في الصحة والإسناد من خلال تلك الكتب، وإذا لم يوجد شاهد في الكتب الستة على إحدى نقاط الدراسة فإنها ستعتمد على كتب الحديث الأخرى في تلك

البريد الإلكتروني: dr.yahya@windowslive.com
ردمد: ١٦٥٨-٦٠٥٠

النقطة فقط مع التنبيه على ذلك في موضعه.

وقد اشتملت هذه الدراسة على إحصاء كامل للأحاديث الواردة في الكتب الستة المشتملة على الحرف (لولا) لذلك يعد المنهج العام للجانب الإحصائي للبحث هو المنهج الاستقرائي التام بالنسبة للكتب الستة، والمنهج الاستقرائي الناقص بالنسبة لكتب الحديث الأخرى.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: تركيب (لولا).

المبحث الثاني: (لولا) الامتناعية.

المبحث الثالث: (لولا) التحضيضية.

وسُبقت هذه المباحث بمقدمة وقُفِّيت بأهم نتائج الدراسة. والله الموفق،،،

المبحث الأول: تركيب (لولا)

(لولا) حرف مركب، وقد وقعت خلاف بين النحاة حول ما رُكِّبت منه (لولا) على النحو التالي:

١- (لولا) مركبة من (إن) و(لو):

يقول ابن السراج عن لولا: "هي مركبة مِنْ معنى إنْ ولَو، وتبدأ بعدها الأسماء، وذلك أنها تمنع الثاني لوجود الأول، تقول: لَولا زيدٌ لهَلكنا تريدُ: لولا زيدٌ في هذا المكان لهلكنا، وإنما امتنع الهلاك لوجود زيدٍ في المكان، وقال عز وجل: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقد يستعملونها بمعنى هَلا يولونها الفعل"[٢].

وكذلك نص الجوهري على أنّ (لولا) مركبة من (إن) و(لو)[٣].

٢- (لولا) مركبة من (لو) و(لا):

يقول سيبويه: "وأما (لا) فتكون كـ: "ما" في التوكيد واللغو. قال الله -عز وجل: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٤]. أي: لأن يعلم، وتكون (لا) نفيًا لقوله يفعل ولم يقع الفعل، فتقول: لا يفعل. وقد تغير الشيء عن حاله كما تفعل ما، وذلك قولك: لولا، صارت لو في معنى آخر كما صارت حين قلت: لوما تغيرت كما تغيرت حيث بـ:(ما)، وإن بـ:(ما)"[٥].

فقد غيرت (لا) دلالة (لو) عندما ركبت معها ؛ لأن طبيعة التركيب تقتضي تعديلا في وظيفة الحرف المركب، يقول ابن الأنباري:"الحرف إذا ركّب مع حرف آخر تغير عما كان عليه في الأصل قبل التركيب، ألا ترى أن (لو) حرف يمتنع به الشيء لامتناع غيره، فإذا ركبت مع ما تغير ذلك المعنى وصارت بمعنى (هلا)، فكذلك -أيضا- إذا ركبت مع (لا) كقوله -من الطويل- (**لولا الكميَّ المقنعا...**) "[٦].

وينص ابن جني على أن " الشيئين إذا خُلِطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا، ألا ترى أن (لولا) مركبة من (لو) و(لا)، ومعنى (لو) امتناع الشيء لامتناع غيره ومعنى (لا) النفي أو النهي فلما ركبا معا حدث معنى آخر وهو امتناع الشيء لوقوع غيره "[٧].

ويفهم من كلام ابن جني أن المعنى الجديد الذي اكتسبته (لولا) بتركيبها من (لو) و(لا) لم يكن منقطع الصلة عن المعنى الأصلي لكل حرف على حدة؛ إذ إن (لو) تفيد امتناع الشيء لامتناع غيره، و(لا) تفيد النفي، والدلالة التي اكتسبتها (لولا) تتمثل في امتناع الشيء لوقوع غيره، فتشتمل على دلالة كل من(لو) و(لا) مجتمعتين، يقول العكبري: "(لولا) يمتنع بها الشيء لوجود غيره، وأصلها (لو) و(لا) فلما رُكِّبَتَا حدث لهما معنى ثالث غير الامتناع المفرد وغير النَّفي، وتحقيقه أنَّ (لو) يمتنع بها الشيء لامتناع غيره، ففيها امتناعان، و(لا) نافية والنفي إذا دخل عليه الامتناع صار إيجابا"[٨].

وقد اشتقوا فعلا من هذا الحرف المركب، يقول ابن جني: "سألتك حاجة فلوليت لِي، أي: قلت لي (لولا)، فاشتقّوا الفعل من الحرف المركب من (لو) و(لا)"[٩].

والمختار عندي أنّ (لولا) تتركب من (لو) و(لا)، استناداً إلى دليلين:

١- دلالة الحرف المركب (لولا) التي تجمع بين الامتناع

(١) جزء من الآية:٣١ من سورة سبأ.
(٢) الأصول في النحو: ٢١١/٢، وانظر الصحاح في اللغة: ١٥٤/٢.
(٣) انظر الصحاح في اللغة: ١٥٤/٢.
(٤) جزء من الآية:٢٩ من سورة الحديد.
(٥) الكتاب:٣٨٧/١، وانظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٣٨٦/١.
(٦) أسرار العربية: ١٨٨/١.
(٧) سر صناعة الإعراب: ٣٠٦/١.
(٨) إعراب لامية الشنفرى: ٨٨/١، ٨٩.
(٩) الخصائص: ٣٧/٢.

والنفي، فالامتناع دلالة لـ (لو)، والنفي دلالة لـ (لا).

٢- أن تدقيق النظر في تركيب(لولا) الملفوظ يفضي إلى استبعاد القول بأنها مركبة من (إن) و(لو)، فلا وجود لـ(إن) في لفظ (لولا).

المبحث الثاني: لولا الامتناعية

اختصاص (لولا) الامتناعية:

تختص (لولا) الامتناعية بالدخول على الأسماء، ويليها الاسم في صورة من ثلاث:

١- أن يكون اسما ظاهرا: نحو: لولا زيد لأكرمتك.

٢- أن يكون ضمير رفع منفصلا: نحو: لولا أنت لأكرمته.

٣- أن يكون ضميرا متصلا، موضوعا للنصب والجر، كالياء والكاف والهاء.

وقد خاض النحاة غمار (لولا) ودندنوا حولها في قضايا متنوعة، ودار الخلاف بينهم فتعددت آراؤهم واختلفت وجهات النظر في تلك الآراء، وستحاول هذه الدراسة المتواضعة تتبع تلك الآراء ثم عرضها على نصوص الحديث الشريف للجمع بين التنظير والتطبيق وذلك على النحو التالي:

أولاً: العامل في الاسم المرفوع بعد (لولا):

اختلف نحاة البصرة ونحاة الكوفة حول العامل في الاسم المرفوع بعد (لولا)، وقد أفرد أبو البركات الأنباري المسألة العاشرة من كتابه الإنصاف لمناقشة تلك القضية، فمذهب الكوفيين أن (لولا) ترفع الاسم بعدها، نحو: لولا زيد لأكرمتك، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بالابتداء، واحتج الكوفيون لمذهبهم بأنّ (لولا) ترفع الاسم بعدها؛ لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم؛ لأن التقدير في قولك: لولا زيد لأكرمتك: لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) على (لو)، فصار بمنزلة حرف واحد...، والحذف في كلامهم لدلالة الحال وكثرة الاستعمال أكثر من أن يحصى، فدل على أن الفعل محذوف هاهنا بعد (لولا)، وأنه اكتفى بـ(لولا) على ما بينا، فوجب أن يكون مرفوعا بها"[١٠]، وقد استدلوا لذلك ببعض الحالات التي يحذف فيها الفعل ويعوضه الحرف، كما استدلوا على ذلك بفتح همزة (أنَّ) بعدها وجوبا في نحو لولا أن زيدا ذاهب لأكرمتك، ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكون الهمزة مكسورة[١١].

أما البصريون فكانت حجتهم أنَّ: "الحرف إنما يعمل إذا كان مختصا، و(لولا) لا تختص بالاسم دون الفعل بل قد تدخل على الفعل كما تدخل على الاسم"[١٢].

ومن ذلك قول الشاعر:

قالت أُمامةُ لما جِئْتُ زائرَها
هلاَّ رَمَيْتَ بَبَعْض الأَسْهُم السُّودِ؟
لَا دَرَّ دَرُّكِ إني قد رَمَيْتُهُمُ
لولا حُدِدْتُ ولا عُذْرَى لِمَحْدود[١٣]

وكذلك لو كان الاسم مرفوعا بـ (لولا) لكان ينبغي أن يعطف عليها بـ (ولا)؛ لأن الجحد يعطف عليه بـ(ولا) والذي يدل على أنه ليس مرفوعا بـ(لولا) بتقدير: لو لم يمنعني زيد لأكرمتك أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يعطف عليها بـ(ولا)؛ لأن الجحد يعطف عليه بـ(ولا) قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[١٤].

"فلما لم يجز أن يقال لولا أخوك ولا أبوك دل على فساد ما ذهبوا إليه"[١٥].

وقد أيد صاحب الإنصاف رأي الكوفيين، ورد على أدلة البصريين بأن (لولا) الامتناعية حرف مختص بالأسماء، وليس مشتركا وأما ما توهمه البصريون من دخولها على الفعل في قول الشاعر:

لولا حددت ولا عذري لمحدود

فقد أجاب عنه أبو البركات الأنباري بقوله: "(لو) التي في هذا البيت ليست مركبة مع (لا) كما هي مركبة مع (لا) في قولك لولا زيد لأكرمتك وإنما (لو) حرف باق على أصله من الدلالة على امتناع الشيء لامتناع غيره،

(١٠) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧١، ٧٢.

(١١) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٣.

(١٢) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٧٣.

(١٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٣. البيت من البسيط، وقد نسبه ابن منظور للجَمُوح الظفري، انظر لسان العرب: ج ٤/ص ٥٤٥ وفيه (لله درك)بدلا من (لَا دَرَّ دَرُّكِ)

(١٤) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٤. والآيات من سورة فاطر من ١٩ إلى ٢٢.

(١٥) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٥.

و(لا) معها بمعنى (لم) لأن (لا) مع الماضي بمنزلة (لم) مع المستقبل، فكأنه قال قد رميتهم لو لم أحد، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يقتحم العقبة"(١٦).

كما أنَّ الحروف إذا رُكِّب بعضها مع بعض تغير حكمها الأول، وحدث لها بالتركيب حكم آخر، فـ(لولا) بتركيبها أخرجت (لو) من حدِّها و(لا) من الجحد إذ ركبتا فصيرتا حرفا واحدا؛ "فلهذا لم يجز العطف عليها بـ(ولا)"(١٧).

وعلى الرغم من اختيار أبي البركات لرأي الكوفيين فإن الباحث يختار رأي البصريين للأسباب التالية:

١- (لولا) حرف واحد مركب من (لو) و(لا)، ولكن تتحدد دلالته حسب ما يذكر بعده، فقد تكون (لولا) امتناعية إذا وليها اسم، وقد تكون (لولا) تحضيضية إذا وليها فعل، فـ(لولا) التحضيضية لا تختلف من حيث التركيب عن (لولا) الامتناعية، يقول سيبويه: "ومثل ذلك: (هلا) و(لولا) و(ألاَّ)، ألزموهنّ لا وجعلوا كلَّ واحدة مع (لا) بمنزلة حرف واحد، وأخلصوهنّ للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض"(١٨).

وعلى ذلك فـ (لولا) حرف مشترك، وإن اختلفت دلالته حسب ما يدخل عليه، وهناك كثير من حروف المعاني المشتركة التي تختلف دلالتها حسب السياق، ومثال ذلك (هل) فإنها تأتي للاستفهام، كما تأتي بمعنى النفي، وقد رأى بعضهم أنها تأتي بمعنى (قد)، يقول الجوهري: "هل: حرف استفهام، فإذا جعلته اسما، شدَّدته. أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ قال: معناها قد أتى. و(هل) قد تكون بمعنى (ما)، قالت ابنةُ الحُمارِسِ:

هل هي إلاَّ حِظَةٌ أو تطْليقْ

أي: ما هي، فلهذا أدخلت إلاَّ"(١٩).

فلا ريب أن نحكم على (لولا) بأنها حرف مشترك تتعدد دلالاته حسب السياق.

٢- نص النحاة على أن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير، ورأي الكوفيين لا يفتقر إلى تقدير فعل فحسب، وإنما يفتقر إلى توهم وجود حرفين مفردين، قد رُكِّبَا معا بعد حذف الفعل، فـ(لولا) ترفع الاسم بعدها لأنها "نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم؛ لأن التقدير في قولك: لولا زيد لأكرمتك: لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) على (لو) فصار بمنزلة حرف واحد"(٢٠).

٣- استدل الكوفيون على أن الاسم مرفوع بـ(لولا) بوجوب فتح همزة (أنَّ) بعدها في نحو: لولا أنَّ زيدا ذاهب لأكرمتك، ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكون الهمزة مكسورة(٢١).

وقد ذكر سيبويه أنه يجب فتح همزة (أنَّ) في هذه الحالة لتقديرها مع معموليها بمصدر يقع في محل رفع، وقد وقعت جملة (أنّ) بعد (لولا) موقع الاسم الواقع بعدها، وقد اتفق الجميع على وجوب فتح همزة (أن) إذا أُوِّلت مع ما بعدها بمصدر، يقول سيبويه تحت عنوان (هذا باب من أبواب أنّ): "تقول: ظننت أنَّه منطلق، فظننت عاملة، كأنّك قلت: ظننت ذاك،وكذلك وددت ذاك، وتقول: لولا أنَّه منطلق لفعلت، فأنَّ مبنيَّة على (لولا) كما تبنى عليها الأسماء".

وتقول: لو أنّه ذاهب لكان خيرا له، فـ(أنَّ) مبنيَّة على (لو) كما كانت مبنيَّة على (لولا)، كأنك قلت: لو ذاك، ثم جعلت أنَّ وما بعدها في موضعه"(٢٢).

ثانياً: أحكام الضمير المتصل بعد (لولا):

اختلف النحاة حول الضمير المتصل بـ (لولا)، فمذهب سيبويه أنَّ الضمير المتصل بـ (لولا) في محل جر، جاء في الكتاب تحت باب: ما يكون مضمَرا فيه الاسم متحولا عن حاله: "وذلك لولاك ولولاي، إذا أضمرت الاسم فيه جُرّ، وإذا أظهرت رُفع، ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت: لولا أنت، كما قال سبحانه: ﴿لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾؛ ولكنهم جعلوه مضمَرا مجرورا.

والدليل على ذلك أنَّ الياء والكاف لا تكونان علامةَ

(١٦) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٦. والآية من سورة البلد: ١١.
(١٧) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٨.
(١٨) الكتاب: ١/٢٠٠.
(١٩) الصحاح في اللغة: ٢/٢٥٣.
(٢٠) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧١، ٧٢.
(٢١) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٧٣.
(٢٢) الكتاب: ١/٢٠١، و١/٢٠٥، وانظر الأصول في النحو: ١/٢٧٧.

مضمَر مرفوع، قال الشاعر، يزيد بن الحكَم:

وكم موطنٍ لولايَ طِحتَ كما هوى

بأجرامه من قُلةِ النّيقِ مُنهَوي"(٢٣).

ومذهب الكوفيين أنَّ الياء والكاف في لولاي ولولاك في موضع رفع، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين على حين يذهب البصريون إلى أنَّ الياء والكاف في موضع جر بـ(لولا)، وذهب أبو العباس المبرد إلى أنه لا يجوز أن يقال: لولاي ولولاك، ويجب أن يقال: لولا أنا ولولا أنت، فيؤتى بالضمير المنفصل كما جاء به التنزيل في قوله: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ولهذا لم يأت في التنزيل إلا منفصلا "(٢٤).

أما ابن السراج فيرى أنَّ دخول (لولا) على الضمير المتصل لحن، حيث يقول: "واعلم أن الذي حكي من قولهم: لولاي ولولاه شيء شذَّ عن القياس كان عند شيخنا يجري مجرى الغلط، والكلام الفصيح ما جاء به القرآن: لولا أنت، كما قال عز وجل: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ والذين قالوا: لولاك ولولاي قالوا: لأنها أسماء مبنية يؤكد المرفوع منها المخفوض فكأنهم إنما يقتصرون العبارة عن المتكلم والمخاطب والغائب لا بأي لفظ كان؛ لأنه غير ملبس، ولكنهم لا يجعلون غائبا مكان مخاطب، لا يقولون: لولاه مكان لولاك، فأما قولهم: عساك فالكاف منصوبة؛ لأنك تقول: عساني فعساك مثل رماك وعساني مثل رماني "(٢٥).

ولكل من البصريين والكوفيين حجة، وقد عرض صاحب الإنصاف تلك الحجج و رجح كفة الكوفيين ورد حجة البصريين بما حاصله(٢٦) أنه يجوز أن تدخل علامة الرفع على الخفض، وأنَّ قولهم: قد تكون الحروف في موضع مبتدأ لا تتعلق بشيء، ليس على إطلاقه، فالأصل في حروف الخفض أن لا يجوز الابتداء بها، وأن لا تقع في موضع مبتدأ، وإنما جاء ذلك نادرا في حرف زائد يجوز حذفه، ولا يتغير المعنى وأن عدم مجئ الضمير المتصل في التنزيل لا يدل على عدم جوازه، ألا ترى أنه لم يأت في التنزيل ترك عمل "ما" في المبتدأ والخبر، نحو: ما زيد قائم وما عمرو منطلق، وإن كانت لغة جائزة فصيحة وهي لغة بني تميم "(٢٧).

وقوع الاسم بعد (لولا) في الكتب الستة:

وقعت (لولا) الامتناعية في الكتب الستة في **اثنين وستين موضعا**، وجاء الاسم الواقع بعد (لولا) على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الاسم الواقع بعد (لولا) اسم ظاهر:

وقد جاء هذا في **ثمانية وخمسين موضعا**، وتنوع الاسم الظاهر بعد (لولا) إلى نوعين:

١- اسم صريح:

ووقع هذا في **خمسة عشر موضعا**، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "**لو أنَّ الأنصار سلكوا واديا أو شعبا لسلكت في وادي الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار**"(٢٨).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها اسم صريح هو (الهجرة)، فقد امتنع كون النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأنصار لوجود الهجرة، وسبقها وشرفها، وكونها أمرا دينيا، فدلت (لولا) على الشرف الكبير بالانتساب إلى الأنصار، كما دلت على أن خصوصية الهجرة سبقت، وهي أعلى وأشرف من الانتساب إلى الأنصار، وقد علق الإمام البخاري على هذا الحديث بقوله: "المعنى: لولا أنَّ الهجرة أمر ديني وعبادة مأمور بها ولها أجر وفضل لانتسبت إليكم، وعددت نفسي واحدا منكم"(٢٩).

والمعنى: أن الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء والألصق بي من سائر الناس، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، أي: أتسمى باسمهم، ولا أنتسب إلا إليهم، لكن خصوصية الهجرة سبقت، وهي أعلى وأشرف، فلا يبدل بها غيرها.

ومن أمثلة وقوع الاسم بعد (لولا) اسما صريحا ما رواه أبو الدرداء، قال: "قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم،

(٢٣) الكتاب: ١/١٦٦. والبيت من الطويل.
(٢٤) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٦٨٧.
(٢٥) الأصول في النحو: ٢/١٢٤.
(٢٦) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٦٩٠.
(٢٧) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٦٩٤، ٦٩٥.
(٢٨) صحيح البخاري: ٣/١٣٧٧.
(٢٩) صحيح البخاري: ٣/١٣٧٧.

فسمعناه يقول: "أعوذ بالله منك، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا، وبسط يده كأنه يتناول شيئا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله: قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك. قال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار؛ ليجعله في وجهي، فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، **والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة**"(٣٠).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها اسم صريح هو (دعوة)، وامتنع وثاق إبليس وما يترتب عليه من لعب ولدان أهل المدينة به لوجود دعوة سليمان –عليه السلام– وهي: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٣١)، والمراد: لولا توهم عدم استجابة هذه الدعوة لأخذته، لا أنه بالأخذ يلزم عدم استجابتها؛ إذ لا يبطل اختصاص تمام الملك لسليمان بهذا القدر"(٣٢).

٢– مصدر مؤول بالصريح:

وذلك في **ثلاثة وأربعين موضعا**، وقد انقسم المصدر المؤول بالصريح قسمين:

أ– مصدر مؤول من (أنْ) والفعل المضارع:

وقع هذا في الكتب الستة في اثنين وعشرين موضعا، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء**"(٣٣).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها مصدر مؤول من (أن) والفعل المضارع (أشق)، وامتنع الأمر بالسواك عند كل وضوء لوجود المشقة على الأمة في حالة الأمر بذلك، فدلالة (لولا) في الحديث الشريف قد صرفت الأمر عن الوجوب إلى الندب، يقول ابن رجب: "وهذا الحديث: نصٌّ على أنه غير واجبٍ على الأمة ؛ فإن المراد: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك أمر فرضٍ وإيجابٍ، لا أمر ندبٍ واستحبابٍ؛ فإنه قد ندب إليه واستحبه، ولكن لم يفرضه، ولم يوجبه"(٣٤).

وعلّق ابن الجوزي على هذا الحديث بقوله: "وفي هذا دليل على أن مطلق الأمر يقتضي الوجوب لأنه أعلمهم أنه لو أمر لوجب، ولا يحسن أن يقال: يجوز أن يأمرهم ويكون أمر ندب؛ لأنه لا يصرف أمره إلى الندب إلا بقرينة، وهو بهذا القول قد ندب"(٣٥)، فقرينة صرفه إلى الندب هي (لولا).

ومن أمثلة وقوع الاسم بعد (لولا) مصدرا مؤولا من (أنْ) والفعل المضارع ما أورده ابن ماجة في باب حجة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من حديث طويل عن جابر بن عبد الله: "... أفاض رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى البيت. فصلى بمكة الظهر. فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم، فقال: "**انزعوا بني عبد المطلب، لولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم**) فناولوه دلوا فشرب منه"(٣٦).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها مصدر مؤول من (أن) والفعل المضارع (يغلب)، وامتنع نزعه – صلى الله عليه وسلم – معهم لوجود الخوف من غلبة الناس وازدحامهم على البئر واعتقادهم أنَّ الاستقاء من مناسك الحج، فـ(لولا) في الحديث الشريف أسهمت في الدلالة على فضيلة العمل في هذا الاستقاء، كما دلت على أنَّ هذا النزع ليس من مناسك الحج، يدل على ذلك ما أورده الإمام النووي في شرحه للحديث حيث قال: "معناه: لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم؛ لكثرة فضيلة هذا الاستقاء وفيه فضيلة العمل في هذا الاستقاء"(٣٧).

ب– مصدر مؤول من (أنَّ) وجملتها:

وقع هذا في الكتب الستة في **واحد وعشرين موضعا**، فمن ذلك ما رواه ابن عباس –رضي الله عنهما–: "أهدى الصعب بن جثامة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– حمار

(٣٠) صحيح مسلم:١/ ص٣٨٥.
(٣١) سورة: ص الآية: ٣٥.
(٣٢) حاشية السندي على النسائي:٣/١٤.
(٣٣) صحيح البخاري:٢/٦٨٢.
(٣٤) فتح الباري لابن رجب:٦/١٦٨.
(٣٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين:١/٩٩٧.
(٣٦) سنن ابن ماجه:٢/١٠٢٢.
(٣٧) شرح النووي على مسلم: ٨/١٩٤.

وحش وهو محرم، فرده عليه، وقال: **لولا أنا محرمون لقبلناه منك**"(٣٨).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها مصدر مؤول من (أنَّ) والجملة الاسمية، وامتنع قبول الرسول-صلى الله عليه وسلم- للهدية التي هي حمار الوحش لوجود الإحرام، فدلت (لولا) أنَّ الإحرام هو سبب الامتناع، لذلك "استدل بهذا الحديث على تحريم الأكل من لحم الصيد على المحرم مطلقا لأنه اقتصر في التعليل على كونه محرما فدل على أنه سبب الامتناع خاصة"(٣٩).

ومن أمثلة وقوع الاسم بعد (لولا) مصدرا مؤولا من (أنَّ) وجملتها ما رواه أبو أيوب حين حضرته الوفاة، حيث قال: " كنت كتمت عنكم شيئا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -يقول: "**لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم**"(٤٠).

فـ (لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها مصدر مؤول من (أنَّ) والجملة الاسمية، فقد امتنع خلقُ اللهِ لخلق يذنبون فيغفر لهم لوجود ذنوبكم، ودلت (لولا) في الحديث على أن ارتكاب الذنوب صفة لازمة للبشر، وهذا يدل على أمرين مهمين:

الأول: اللجوء إلى التوبة عقب ارتكاب الذنوب؛ لأن بابها مفتوح لا يُغلق.

والآخر: عدم العجب بالعمل؛ لأن هذا يؤدي إلى الكبر والهلاك.

وقد علق صاحب فيض القدير على الحديث بقوله: "جعل العجب أكبر من الذنوب، ولو لم يذنب العبد لاستكثر فعله واستحسن عمله فلحظ أفعاله المدخولة وطاعاته التي هي بالمعاصي أشبه وإلى النقص أقرب، فيرجع من كنف الله وحفظه إلى استحسان فعله؛ فيهلك "(٤١).

النوع الثاني: الاسم الواقع بعد (لولا) اسم مبهم:

لم يرد الاسم الواقع بعد (لولا) مبهما في الكتب الستة إلا في موضعين، الموضع الأول في حديث قذفِ هلال بن أمية امرأته، فقد روى ابن عباس -رضي الله عنهما - أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي - صلى الله عليه وسلم- بشريك بن سحماء، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (البينةَ أو حَدٌّ في ظهرك). فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة! فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (البينة وإلا حد في ظهرك). فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق؛ فلينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه (والذين يرمون أزواجهم)، فقرأ حتى بلغ (إن كان من الصادقين). فانصرف النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب). ثم قامت، فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت، ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء). فجاءت به كذلك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: **(لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن)** "(٤٢).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها اسم مبهم هو (ما) الموصولة، وامتنع أن يكون للرسول معها شأن برجمها لوجود آيات اللعان(٤٣)، أسهمت (لولا) في الدلالة على أنه لا اجتهاد مع النص، وامتنع الاجتهاد برجمها لوجود آيات اللعان، على الرغم من وجود أكثر من قرينة في القصة تدل على ارتكابها جريمة الزنا كنزول آيات اللعان، وتلكئها في الشهادة الخامسة، وقولها: لا أفضح قومي سائر اليوم(٤٤)، وأمر الرسول-صلى الله عليه وسلم- صحابته بتتبع ملامح ابنها، وكذلك امتناع الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن رجمها بسبب نزول آيات اللعان.

(٣٨) صحيح مسلم: ٨٥١/٢.
(٣٩) فتح الباري ابن حجر: ٣٣/٤.
(٤٠) صحيح مسلم: ٢١٠٥/٤.
(٤١) فيض القدير: ٣٤٢/٥.
(٤٢) صحيح البخاري: ١٧٧٢/٤. ومعنى (أكحل) شديد سواد الجفون خلقة من غير اكتحال. ومعنى (سابغ الأليتين) ضخمهما ومعنى (خدلج) ممتلئ.
(٤٣) الآيات من: ٦ إلى ٩ من سورة النور
(٤٤) هذا إذا كانت قد قالت ذلك علنا، ولم يكن هذا استنباطا من ابن عباس، كأن يكون ذلك عن طريق مناجاتها لنفسها التي لمحها الحاضرون

يعلق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: "أي: لولا ما سبق من حكم الله، أي: أن اللعان يدفع الحد عن المرأة لأقمت عليها الحد من أجل الشبه الظاهر بالذي رُميت به، ويستفاد منه أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يحكم بالاجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه وحي خاص، فإذا أُنزل الوحي بالحكم في تلك المسألة قطع النظر، وعمل بما نزل، وأجرى الأمر على الظاهر، ولو قامت قرينة تقتضي خلاف الظاهر"(٤٥).

والموضع الثاني الذي جاء فيه الاسم الواقع بعد (لولا) مبهما في الكتب الستة في الحديث الذي رواه أبو أمامة: "أتت النبي –صلى الله عليه وسلم– امرأة معها صبيان لها. قد حملت أحدهما وهي تقود الآخر. فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **(حاملات والدات رحيمات. لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة)**"(٤٦).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها اسم مبهم هو (ما) الموصولة، فقد امتنع دخول مصلياتهن الجنة لمجرد الصلاة لوجود إتيانهن الأذى في حق أزواجهن، فقد أسهمت (لولا) في الدلالة على كثرة صدور الأذى منهن وكفران العشير، فـ"لو صلين وتركن الأذى لدخلن الجنة إلا أنهن كثيرات الأذى قليلات الصلاة "(٤٧).

جاء في شرح سنن ابن ماجه "وقوله: لولا ما يأتين أي: لولا صنيعهن بأنهن يؤذين أزواجهن، ويحملنهم إلى ما طاقة لهم دخلن الجنة، بشرط أداء الصلاة، أي: مجرد أداء الصلاة يكفي في نجاتهن لو أحسنَّ إلى أزواجهن، فكأن هذه المتاعب والمشاق كافية لإسقاط أوزارهن، لكن استثنى من الأوزار اثنين: كفران العشير وترك الصلاة"(٤٨).

النوع الثالث: الاسم الواقع بعد (لولا) ضمير منفصل:

لم يرد الاسم الواقع بعد (لولا) ضميرا منفصلا في الكتب الستة إلا في موضعين، الموضع الأول: في الحديث الذي رواه العباس بن عبد المطلب حين قال: "يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال: "**نعم هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**"(٤٩).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجود، وقد وقع بعدها ضمير منفصل، هو (أنا)، وامتنع كونه في الدرك الأسفل من النار لوجود شفاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بسبب نصرة أبي طالب له – صلى الله عليه وسلم –، ففي الحديث دلالة على أن الله تعالى قد يعطي الكافر عوضا من أعماله التي مثلها يكون قربة لأهل الإيمان بالله تعالى، لأنه أخبر أن عمه نفعته تربيته إياه وحياطته له التخفيف الذي لو لم ينصره في الدنيا لم يخفف عنه، فعلم بذلك أنه عوض نصرته، لا لأجل قرابته منه، فقد كان لأبي لهب من القرابة مثل ما كان لأبي طالب فلم ينفعه ذلك(٥٠).

والموضع الثاني: لوقوع الضمير المنفصل بعد (لولا) في الكتب الستة كان في موقف ترديد الرسول – صلى الله عليه وسلم – لشِعر عبد الله بن رواحة الذي جاء فيه الضمير المنفصل بعد (لولا)، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلا كثير الشعر وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا(٥١).

وقد روي أيضا باسم ظاهر بدلا من الضمير المنفصل هكذا:

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا صمنا ولا صلينا(٥٢).

فـ(لولا) هنا حرف وجوب لوجوب، وقد وقع بعدها ضمير منفصل، هو (أنت)، ووجب الاهتداء لوجود توفيق الله، و دلت (لولا) على أن هداية التوفيق من الله هي أهم وأسبق من هداية الإرشاد، يقول الإمام الطبري في تفسيره لقول الله –عز وجل–: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا

(٤٥) فتح الباري ابن حجر ٩/٤٦١، ٤٦٢.
(٤٦) سنن ابن ماجه: ١/٦٤٨.
(٤٧) سنن ابن ماجه: ١/٦٤٨.
(٤٨) شرح سنن ابن ماجه – السيوطي وآخرون: ١/١٤٥.
(٤٩) صحيح البخاري:٥/٢٢٩٣.
(٥٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري:٣٢/٤٢٥.
(٥١) صحيح البخاري:٣/١١٠٣. البيت من الرجز، وقد زيد في أوله سبب خفيف، ويسمى الخزم.
(٥٢) صحيح البخاري:٦/٢٤٤١.. والشطر الأول من الرجز، وأما الشطر الثاني فقد يعد من الهزج، وإن كانت صورة ضربه لم ترد في صور ضرب بحر الهزج حيث زيد سبب خفيف في آخر التفعيلة، وهذا ليس من علل الزيادة، ولا صلينا مفاعيلان.

﴿لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾(٥٣): "الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله، وصرف عذابه"(٥٤).

وأما الضمير المتصل فلم يرد واقعا بعد (لولا) في الكتب الستة، وقد ورد ذلك في المعجم الأوسط في حديث بشير بن الخصاصية، حيث قال: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلحقته بالبقيع، فسمعته يقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين، فانقطع شسعي، فقال لي: أنعش قدمك. قلت: يا رسول الله: **طالت عزوبتي، ونأيت عن دار قومي. فقال: يا بشير ألا تحمد الله الذي أخذ بناصيتك للإسلام من بين ربيعة قوم يرون أن لولاهم لائتفكت الأرض بمن عليها**"(٥٥).

فقد وقع الضمير المتصل (هم) بعد (لولا) الامتناعية، ومحله الجر على مذهب البصريين، والرفع على مذهب الكوفيين، وقد امتنع ائتفاك الأرض بمن عليها في نظر ربيعة لوجودهم، وقد أسهمت (لولا) في الدلالة على عجب ربيعة وتكبرهم.

دلالات (لولا):

اصطلح النحاة على تسمية (لولا) بالامتناعية، مع أنها قد تتجرد للوجود في بعض أحوالها نحو: لولا زيد لم أحسن إليك. فقد وجب الإحسان لوجود زيد. فدلالة لولا هنا لا تدل على الامتناع، فهي حرف وجوب لوجوب أو وجود لوجود.

يقول المالقي:"الصحيح أن تفسيرها بحسب الجمل التي تدخل عليها، فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب، نحو قولك: لولا زيد لأحسنت إليك. فالإحسان امتنع لوجود زيد، وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع، نحو: لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك. وإن كانتا موجبة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب، نحو: لولا زيد لم أحسن إليك. وإن كانتا منفية وموجبة فهي حرف امتناع لامتناع، نحو: لولا عدم قيام زيد لأحسنت إليك "(٥٦).

ويفهم من كلام المالقي أن دلالة لولا تتحدد بتحديد طبيعة تكوين جملتيها كالتالي:

١- حرف امتناع لوجوب أو لوجود:

وهذا عندما تكون الجملتان بعدها موجبتين مثل: لولا زيد لأحسنت إليك. فالإحسان امتنع، لوجود زيد.

وقد حظي هذا النوع بالنصيب الأوفر من حيث الورود في أحاديث الكتب الستة، فقد وردت جملتا (لولا) موجبتين في اثنين وخمسين موضعا، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس -رضي الله عنه- أن: "النبي -صلى الله عليه وسلم- مر بتمرة مسقوطة فقال: "**لولا أن تكون صدقة لأكلتها** "(٥٧).

ف(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجوب أو لوجود، فقد امتنع أكله -صلى الله عليه وسلم- التمرة لوجود احتمالية كونها صدقة، وقد دلت (لولا) في الحديث على مدى ورع الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتحريه الحلال في مطعمه، فعلى الرغم من أنه غير متيقن من كونها صدقة فإنه لم يأكلها، وقد ذكرت بعض روايات الحديث أن التمرة كانت على فراشه، وهذا أبلغ في الورع، يقول ابن حجر: "والنكتة في ذكره هنا ما فيه من تعيين المحل الذي رأى فيه التمرة وهو فراشه - صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك لم يأكلها وذلك أبلغ في الورع "(٥٨)، وذلك لـ "أن آل محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يأكلون الصدقة"(٥٩).

ومن أمثلة ورود جملتي (لولا) موجبتين ما رواه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-قال: "مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لصلاة العشاء الآخرة، فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده، فلا ندري أشيء شغله في أهله أو غير ذلك؟ فقال حين خرج: إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم **ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة وصلى**"(٦٠).

ف(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجوب أو لوجود، فقد امتنع إلزامه-صلى الله عليه وسلم- لهم بأن يصلوها

(٥٣) جزء من الآية: ٤٣ من سورة الأعراف.
(٥٤) تفسير الطبري: ٤٣٩/١٢.
(٥٥) المعجم الأوسط: ١٧٧/٣.. الشسع: سير يمسك النعل بأصابع القدم، اللسان: شسع، وائتفكت: أي انقلبت. اللسان: أفك.
(٥٦) رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٤٦/١.
(٥٧) صحيح البخاري: ٧٢٥/٢.
(٥٨) فتح الباري - ابن حجر: ٢٩/٤.
(٥٩) صحيح البخاري: ٥٤١/٢.
(٦٠) صحيح مسلم: ٤٤٢/١.

في هذا الوقت المتأخر لوجود الثقل والمشقة، وقد دلت (لولا) في الحديث على أفضلية هذا الوقت، وعلى صعوبته في الوقت نفسه، فقد "صرح بأن ترك التأخير إنما هو للمشقة ومعناه-والله أعلم- أنه خشي أن يواظبوا عليه، فيفرض عليهم ويتوهموا إيجابه، فلهذا تركه"(٦١).

٢- حرف وجود لامتناع:

وهذا إن كانت الجملتان منفيتين، نحو: لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك.

فقد امتنع الإحسان لوجود عدم قيام زيد.

وهذا النوع لم أجد له نماذج في الكتب الستة ولا في غيرها من كتب الحديث، كما أنني لاحظت عدم وروده في القرآن الكريم، مما يدل على قلته، وأعتقد أن سبب ذلك هو تركيب الحرف (لولا)، فهو مركب من (لو) و(لا)، فيشتمل في تركيبه على النفي، لذا لا يسوغ دخوله على منفي؛ وعليه فالمثال الذي ذكره المالقي لم تشتمل الجملة الأولى فيه على أداة نفي صريحة، وإنما اشتملت على السلب -سلب القيام-، وإن كان السلب فيه معنى النفي إلا أنه لم تستخدم أداة نفي صريحة؛ لأن (لولا) تشتمل على النفي في تركيبها، وأدوات النفي هي الأصل في السلب، وما عداها هو فرع لها، يقول ابن جني: "اعلم أن كل فعل أو اسم مأخوذ من الفعل أو فيه معنى الفعل فإن وضع ذلك في كلامهم على إثبات معناه لا سلبهم إيَّاه، وذلك قولك: قام، فهذا لإثبات القيام، وجلس لإثبات الجلوس، وينطلق لإثبات الانطلاق، وكذلك الانطلاق، ومنطلق: جميع ذلك وما كان مثله إنما هو لإثبات هذه المعاني لا لنفيها. ألا ترى أنك إذا أردت نفي شيء منها ألحقته حرف النفي فقلت: ما فعل، ولم يفعل، ولن يفعل (ولا تفعل) ونحو ذلك"(٦٢).

والملاحظ أن المتكلم إذا احتاج إلى نفي في الجملة الأولى بعد (لولا) فإنه يجعله داخل الجملة، لا في صدرها، وقد ورد هذا في ثلاثة مواضع في الكتب الستة، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "**والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل**"(٦٣).

فـ(لولا) في الحديث حرف وجوب لوجوب، فقد وجب التخلف عن بعض السرايا لوجود رجال من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولم يجد ما يحملهم عليه، وقد جاء النفي في إطار الجملة الأولى، وهو في جملة (**لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني**)، وكذلك الجملة المعطوفة (**ولا أجد ما أحملهم عليه**)، فلم يُعَبَّر مثلا بـ (**لولا عدم طِيب أنفس رجال من المؤمنين**)، (**وعدم وجود ما أحملهم عليه**)، واكتُفي بالنفي داخل إطار الجملة الموجبة.

ومن ذلك أيضا ما روي عن أنس بن مالك: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**"(٦٤).

فـ(لولا) في الحديث حرف امتناع لوجوب أو لوجود، فقد امتنعت دعوته - صلى الله عليه وسلم - الله - تعالى - أن يسمعهم من عذاب القبر لوجود الخوف من عدم التدافن، وقد جاء النفي في إطار الجملة الأولى، وهو في جملة (أن لا تدافنوا)، فلم يُعَبَّر مثلا بـ (لولا عدم التدافن)، واكتُفي بالنفي داخل إطار الجملة الموجبة.

يقول صاحب فيض القدير معلقا على الحديث: "أي: لولا خوف ترك التدافن من خوف أن يصيبكم من العذاب ما أصاب الميت (لدعوت الله أن يسمعكم)"(٦٥).

٣- حرف وجود لوجود(٦٦):

وهذا إن كانت الجملة الأولى موجبة والثانية منفية، نحو: لولا زيد لم أحسن إليك، فقد وجب الإحسان لوجود زيد.

وقد وردت الجملة الأولى موجبة والثانية منفية في **عشرة مواضع**، وهي المواضع المتبقية بعد مواضع الجملتين الموجبتين، ومن أمثلة ذلك ما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه -أن النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: "**لولا**

(٦١) شرح النووي على مسلم: ١٣٨/٥.
(٦٢) الخصائص: ٧٥/٣.
(٦٣) سنن النسائي٢٢/٢
(٦٤) صحيح مسلم: ٢٢٠٠/٤.
(٦٥) فيض القدير: ٣٤١/٥.
(٦٦) أو وجوب لوجوب.

بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها"(٦٧).

ف (لولا) في الحديث حرف وجود لوجود، فقد وُجد خنز اللحم لوجود بني إسرائيل، كما وُجدت خيانة الأنثى لزوجها لوجود تزيين حواء لآدم الأكل من الشجرة.

وقد دلت (لولا) في الحديث على أن أول من بدأ خنز اللحم هم بنو إسرائيل، وأنهم لو لم يفعلوا ذلك ما فعله غيرهم، فقد قيل إنهم "ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك"(٦٨).

كما دلت (لولا) على أن أول من بدأ بخيانة الزوج حواء؛ حيث زينت له الأكل من الشجرة، وأنها لو لم تفعل ذلك ما فعله غيرها من النساء، وليس المقصود من الخيانة هنا ارتكاب الفواحش، ويذكر ابن حجر أن في الحديث: "إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسَّنت ذلك لآدم عُدَّ ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها"(٦٩).

ومن أمثلة ورود الجملة الأولى موجبة والثانية منفية ما روي عن عدي بن الحمراء أنه رأى "**رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على ناقته واقف بالحَزْوَرَة**(٧٠)، **يقول: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي. والله لولا أني أخرجت منك ما خرجت** "(٧١).

ف(لولا) في الحديث حرف وجود لوجود، فقد وُجد خروجه –صلى الله عليه وسلم– من مكة لوجود إخراجه منها بأمر من الله(٧٢).

وقد دلت (لولا) في الحديث على مدى حب الرسول –صلى الله عليه وسلم– لمكة، وتعلق قلبه بها.

٤– حرف امتناع لامتناع:

وهذا إن كانت الجملة الأولى منفية والثانية موجبة، نحو: لولا عدم قيام زيد لأحسنت إليك.

فقد امتنع الإحسان لعدم قيام زيد.

وهذا النوع –كالنوع الثاني – لم أجد له نماذج في الكتب الستة ولا في غيرها من كتب الحديث، كما أنه لم يرد في القرآن الكريم، وقد ذكرت سبب ذلك من وجهة نظري عند الحديث عن النوع الثاني.

هذا ويمكن الخلوص إلى أن دلالة لولا تتحدد بتحديد طبيعة تكوين جملتيها، ولذلك يرى الباحث أن تسمى (لولا) حسب دلالتها مع ما بعدها، حتى نتجنب تسميتها بما لا تدل عليه في سياقها، فهي تسمى (لولا) الامتناعية في كل أحوالها، على الرغم من أنها لا تتجرد للامتناع إلا في حالة واحدة، وذلك عندما تقع الجملة الأولى منفية والثانية موجبة، وتدل على الامتناع والوجود في صورتين، الصورة الأولى إذا كانت جملتاها موجبتين فتكون حرف امتناع لوجود، والصورة الثانية إذا كانت الجملتان بعدها منفيتين فتكون حرف وجود لامتناع، بينما تتجرد للدلالة على الوجود في صورة واحدة، وذلك إذا كانت الجملة الأولى موجبة والثانية منفية، وبناء على ذلك يمكن تسمية (لولا) بحسب دلالتها مع جملتيها كالتالي:

أ– لولا الامتناعية الوجودية إذا كانت جملتاها موجبتين.

ب– لولا الوجودية الامتناعية إذا كانت الجملتان بعدها منفيتين.

ت– لولا الوجودية إذا كانت الجملة الأولى موجبة والثانية منفية.

ث– لولا الامتناعية إذا كانت الجملة الأولى منفية والثانية موجبة.

أحوال جواب (لولا) من حيث اقترانه بلام التوكيد:

ذكر النحاة لجواب (لولا) من حيث اقترانه بلام التوكيد مع وجود نفي للجواب أو إثبات خمسة أحوال كالتالي:

(٦٧) صحيح البخاري: ١٢١٢/٣، وخنز اللحم: نتانته، انظر لسان العرب: مادة خنز.

(٦٨) فتح الباري – ابن حجر: ٣٦٧/٦.

(٦٩) فتح الباري: ابن حجر: ٣٦٨/٦.

(٧٠) على وزن القَسْوَرَة موضع بمكة، وبعضهم شددها، والحزورة في الأصل بمعنى التل الصغير سميت بذلك لأنه كان هناك تل صغير، وقيل لأن وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد كان ولي أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحا كان هناك، وجعل فيها أمة يقال لها حزورة ؛ فسميت حزورة مكة بها. تحفة الأحوذي: ٢٩٤/١٠.

(٧١) سنن ابن ماجه: ١٠٣٧/٢.

(٧٢) انظر تحفة الأحوذي: ٢٩٤/١٠.

١- جواب (لولا) ماض مثبت، مقترن باللام:

وهذا نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾(٧٣).

فـ(كنا) فعل ماض جواب (لولا)، وقد اقترن بلام التوكيد.

وقد ورد جواب (لولا) ماضيا مثبتا مقترنا باللام في **ثلاثة وأربعين موضعا** في أحاديث الكتب الستة، فمن ذلك ما روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه -أن عليا- رضي الله عنه -قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم-من اليمن فقال: "(بم أهللت). قال: بما أهل به النبي-صلى الله عليه وسلم-. فقال - صلى الله عليه وسلم -: "**لولا أن معي الهدي لأحللت**"(٧٤).

فـ" أحللت" فعل ماض مثبت، وقع جوابا لـ (لولا)، وقد اقترن بلام التوكيد.

٢- جواب (لولا) ماض منفي:

وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾(٧٥).

فجواب (لولا) "ما زكى" وهو ماض منفي بما.

وقد ورد جواب (لولا) ماضيا منفيا بـ(ما) في **سبعة مواضع** في أحاديث الكتب الستة، وكلها من مواضع وقوع (لولا) حرف وجوب لوجود، ومن ذلك ما روي عن أنس بن مالك — رضي الله عنه -أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم -قال: "**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم. ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها، وإنها لتدعو الله عز و جل أن لا يعيدها فيها**"(٧٦).

فجواب (لولا) (ما انتفعتم)، وهو ماض منفي بـ(ما).

٣- جواب (لولا) ماض مثبت خال من اللام:

وهذا قليل، وقد مثلوا له بقول ابن مقبل:

لولا الحياءُ، ولولا الدينُ، عبتُكما

ببعضِ ما فيكُمَا، إذْ عِبتُما عَوَرِي(٧٧)

فقد جاء جواب (لولا) "عبتكما" خاليا من لام التوكيد وهذا قليل، وقد قيل: إن حذف اللام من جواب (لولا) ضرورة(٧٨).

ولم يرد جواب (لولا) ماضيا مثبتا خاليا من اللام في أحاديث الكتب الستة إلا في موضعين، فالموضع الأول هو ما رواه أبو سعيد الخدري: " أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - صلى بنا صلاة المغرب، ثم لم يخرج حتى ذهب شطر الليل، فخرج، فصلى بهم، ثم قال: "إن الناس قد صلوا وناموا، وأنتم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة، **ولولا الضعيف أحببت أن أؤخر هذه الصلاة إلى شطر الليل**"(٧٩).

فقد جاء جواب (لولا) "أحببت" ماضيا مثبتا خاليا من اللام.

والموضع الثاني الذي جاء فيه جواب (لولا) ماضيا مثبتا خاليا من اللام في الحديث الذي رواه أبو أمامة: "أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - امرأة معها صبيان لها. قد حملت أحدهما وهي تقود الآخر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حاملات والدات رحيمات. "**لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة**"(٨٠).

فقد جاء جواب (لولا) "دخل" ماضيا مثبتا خاليا من اللام.

٤- جواب (لولا) ماض منفي بما مقترن باللام:

وهذا كقول الشاعر:

لولا رجاء لقاء الظاعنين لما

أبقت نواهم لنا روحا، ولا جسدا(٨١)

فجواب (لولا)"لما أبقت" ماض منفي بما مقترن باللام(٨٢).

ولم يرد جواب (لولا) ماضيا منفيا مقترنا باللام في أحاديث الكتب الستة، ولم أعثر له على مثال في كتب الأحاديث، كما أنه لم يرد في القرآن الكريم.

٥- جواب (لولا) مضارع منفي بـ(لم):

وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع، منها ما روي عن عبد الله بن عمر قال: "أقبل علينا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. فقال: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم

(٧٣) سورة سبأ: الاية ٣١.
(٧٤) صحيح البخاري:٢/٥٦٤.
(٧٥) سورة النور: الآية: ٢١.
(٧٦) سنن ابن ماجه: ٢/١٤٤٤.
(٧٧) البيت من البسيط، انظر تهذيب اللغة: ١/١٥٥، ولسان العرب: ٧/١١٩، وقد ورد في الجنى الداني في حروف المعاني:١/١٠٢. (وباقي الدين) بدلا من (ولولا الدين).
(٧٨) انظر الجنى الداني في حروف المعاني: ١/١٠٢.
(٧٩) سنن ابن ماجه: ١/٢٢٦.
(٨٠) سنن ابن ماجه: ١/ ٦٤٨.
(٨١) البيت من البسيط. انظر الجنى الداني في حروف المعاني: ١/١٠٢، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك:١/٣٨٤.
(٨٢) انظر أنواع جواب لولا شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١/٣٨٤.

بهنَّ-وأعوذ بالله أن تدركوهن- لم تظهر الفاحشة في قوم قط. حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، **ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في بأيديهم**"(٨٣).

فجواب (لولا) (لم يمطروا)، وهو مضارع منفي بـ(لم).

الحذف بعد (لولا):

أولاً: حذف الخبر بعد (لولا):

الاسم الواقع بعد (لولا) يعرب مبتدأ على مذهب البصريين، والخبر يكون محذوفا وجوبا إذا كان كونا عاما على مذهب الجمهور، يقول المرادي: "فلولا... حرف ابتداء، والاسم بعدها مرفوع بالابتداء عند أكثر النحويين. ثم اختلفوا في خبره، فقال الجمهور: هو محذوف، واجب الحذف مطلقًا. ولا يكون عندهم إلا كونا مطلقا. فإذا أريد الكون المقيد جعل مبتدأ، نحو: لولا قيام زيد لأتيتك. ولا يجوز لولا زيد قائم. ولذلك لحنَّوا المعري، في قوله:

يُذِيبُ الرُّعْبُ منه كُلَّ عضْبٍ
فلَولا الغِمْدُ يُمسِكه لسالا(٨٤)

قلت: وتأوَّله بعضهم، على أن يمسكه حال. ورد بأن الأخفش حكى عن العرب أنهم لا يأتون بعد الاسم الواقع بعد (لولا) الامتناعية، بالحال، كما لا يأتون بالخبر. وتأوله بعضهم على تقدير أن، والتقدير: فلولا الغمد أن يمسكه. وأعربه بدلا، أي: لولا إمساكه"(٨٥).

وقد ذكر ابن هشام رأيا غريبا نسبه لابن الطراوة، حيث يرى " أن جواب (لولا) أبدا هو خبر المبتدأ ويرده أنه لا رابط بينهما"(٨٦).

وقد فصل السيوطي القول في خبر الاسم الواقع بعد (لولا) بقوله: "إن كان خبر ما بعدها كونا مطلقا فالحذف واجب، وعليه جاء التنزيل وأكثر الكلام، وإن كان كونا مقيدا فلا يخلو: إما أن يدل عليه دليل أو لا، فإن لم يدل عليه دليل وجب ذكره، نحو قوله عليه السلام: "لولا قومك حديثو عهد بكفر"،...وإن دل عليه دليل جاز الذكر والحذف، نحو: لولا زيد لغلبنا، أي شجاع، وعليه بيت المعري المتقدم"(٨٧).

وعلى ذلك نستطيع تقسيم أحوال الاسم الواقع بعد (لولا) من حيث الذكر والحذف إلى ثلاثة أقسام:

١- واجب الحذف إذا كان كونا مطلقا.

وقد ورد حذف الخبر وجوبا بعد (لولا)؛ لأنه كون مطلق في الكتب الستة في كل المواضع ما عدا موضعا واحدا جاء فيه الخبر كونا مقيدا، ولم يدل عليه دليل.

ومن أمثلة حذف الخبر وجوبا بعد (لولا) لأنه كون مطلق في الكتب الستة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "**للعبد المملوك الصالح أجران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك**"(٨٨).

فالخبر بعد (لولا) محذوف وجوبا لأنه كون مطلق، والتقدير: لولا الجهاد موجود أو أجره كبير، وقد دلت (لولا) في الحديث على أهمية الجهاد في سبيل الله والحج والبر، كما دلت على عظم أجر العبد المملوك الصالح.

ومن أمثلة حذف الخبر وجوبا بعد (لولا) لأنه كون مطلق ما رواه جابر بن عبد الله حيث قال: أهللنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالحج خالصا لا يخالطه شيء، فقدمنا مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة، فطفنا، وسعينا، ثم أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن نحل، وقال "**لولا هديي لحللت**"(٨٩).

فجواب (لولا) محذوف وجوبا لأنه كون مطلق، والتقدير: لولا هديي مسوق أو موجود، لقوله – صلى الله عليه وسلم – في رواية أخرى: "**افعلوا ما آمركم به فإني لولا أني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم به ولكن لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدي محله**"(٩٠).

(٨٣) سنن ابن ماجه: ١٣٣٢/٢.

(٨٤) البيت من الوافر، وقد ورد في الجنى الداني في حروف المعاني: ١٠٢/١، وأوضح المسالك: ٢٢١/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٣٠٧/١. ومغني اللبيب: ٣٦٠/١. و شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١٠٦/١.

(٨٥) الجنى الداني في حروف المعاني: ١ / ١٠٢. وانظر مغني اللبيب: ١ /٣٦٠.

(٨٦) مغني اللبيب: ٣٦٠/١.

(٨٧) الدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٣٠٧/١، وانظر أوضح المسالك: ٢٢٠/١.

(٨٨) صحيح البخاري: ٩٠٠/٢.

(٨٩) سنن أبي داود: ٥٥٥/١.

(٩٠) صحيح مسلم: ٨٨٣/٢.

٢- واجب الذكر إذا كان كونا مقيدا، ولم يدل عليه دليل:

وقد ورد ذكر الخبر وجوبا بعد (لولا) لأنه كون مقيد، ولم يدل عليه دليل في الكتب الستة في موضع واحد، وهو الحديث الذي استشهد به النحاة على وجوب ذكر الخبر بعد (لولا) إذا وقع كونا مقيدا ولم يدل عليه دليل.

وهو الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-أن النبي صلى الله عليه وسلم – قال: "**يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم، -قال ابن الزبير-بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون**"(٩١).

فـ(حديث عهدهم) خبر واجب الذكر لأنه كون مقيد، ولم يدل عليه دليل.

٣- جائز الذكر والحذف إذا كان كونا مقيدا، وقد دل عليه دليل.

ولم أعثر على الخبر بعد (لولا) كونا مقيدا، وقد دل عليه دليل في الكتب الستة. ومنه بيت أبي العلاء السابق، ومن أمثلته – أيضا – "لولا أنصار زيد حموه ما سلم". فـ(حموه) كون مقيد دل عليه دليل، وهو كلمة (أنصار)؛ لأن الأنصار من شأنهم الحماية، لذلك يجوز حذفه، فنقول: "لولا أنصار زيد ما سلم".

ثانيا: حذف جواب (لولا):

إذا دل دليل على جواب (لولا) جاز حذفه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾(٩٢). فالتقدير لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة ولعاجلكم بالعقوبة أو لأهلككم(٩٣).

وقد ورد حذف جواب (لولا) في الكتب الستة في **سبعة مواضع**(٩٤).

فمن ذلك ما رواه ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – "أخر العشاء ذات ليلة حتى ذهب من الليل، فقام عمر – رضي الله عنه – فنادى: الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والولدان، فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –والماء يقطر من رأسه، وهو يقول: **إنه الوقت لولا أن أشق على أمتي**"(٩٥).

فجواب (لولا) محذوف لأنه قد دل عليه دليل وهو قول الرسول –صلى الله عليه وسلم-: (إنه الوقت)، والتقدير: لجعلت هذا الوقت وقت العشاء.

ومن ذلك –أيضا– ما روي عن قيس بن بشر التغلبي، قال أخبرني أبي – وكان جليسا لأبي الدرداء –قال:" كان بدمشق رجل من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يقال له ابن الحنظلية، وكان رجلا متوحدا قلما يجالس الناس إنما هو في صلاة، فإذا فرغ فإنما هو في تسبيح وتكبير حتى يأتي أهله، فمر بنا ونحن عند أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء...كلمة تنفعنا ولا تضرك قال: قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "**نعم الرجل خريم الأسدي لولا طول جمته، وإسبال إزاره " فبلغ ذلك خريما، فعجل، فأخذ شفرة، فقطع بها جمته إلى أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه**"(٩٦).

فجواب (لولا) محذوف لأنه قد دل عليه دليل، وهو قول الرسول – صلى الله عليه وسلم -: (نعم الرجل خريم الأسدي)، والتقدير: (لكان نعم الرجل).

المبحث الثالث: (لولا) التحضيضية

تختص (لولا) التحضيضية بالدخول على الأفعال، وكذلك باقي حروف التحضيض، و(لولا) في دخولها على الأفعال لها ثلاث حالات:

١- أن يذكر الفعل بعدها،وقد يكون ماضيا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(٩٧).

كما يكون مضارعا نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾(٩٨)

---

(٩١) صحيح البخاري:١/٥٩، وقد ورد هذا الحديث بعدة روايات مختلفة، وهي: لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة، لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم، لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت، لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، لولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت.

(٩٢) سورة النور: الآية: ١٠.

(٩٣) الإنصاف في مسائل الخلاف:٢/٤٦١، والجنى الداني في حروف المعاني:١/١٠٢، ومغني اللبيب:١/٨٥٠.

(٩٤) وقد ذكرت قبل أن جواب (لولا) قد ورد ماضيا مثبتا مقترنا باللام في ثلاثة وأربعين موضعا في أحاديث الكتب الستة، وقد ورد ماضيا منفيا في عشرة مواضع، وقد ورد ماضيا مثبتا خاليا من اللام في موضعين، يتبقى من مواضع ورود (لولا) سبعة مواضع قد حُذف فيها الجواب.

(٩٥) سنن النسائي: ١/٢٦٦.

(٩٦) سنن أبي داود: ٢/٤٥٥. والجمة: الشعر يجاوز شحمة الأذن.

(٩٧) سورة الفرقان: ٢١.

(٩٨) سورة الواقعة: ٧٠.

٢- أن يحذف الفعل بعدها ويفسره السياق، وهذا حين يليها اسم معمول لفعل مقدر: وذلك نحو: "لولا السنة اتبعتَها"

٣- أن يليها اسم معمول لفعل مؤخر، نحو: "لولا زيدًا ضربت"

يقول المرادي عن (لولا) إنها: "تختص بالأفعال، ويليها المضارع، نحو "فلولا تشكرون" والماضي، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾(٩٩). وقد يليها اسم معمول لفعل مقدر، نحو: لولا زيدا ضربته، أو معمول لفعل مؤخر، نحو: لولا زيدا ضربت"(١٠٠).

ويقول الرضي:"وحرف التحضيض لا يدخل إلا على الأفعال بالاستقراء، وقد يقدر الفعل بعدها، إما مفسرا كما في قولك: هلا زيدا ضربته، أو غير مفسر كما في قوله:

تَعُدُّون عَقْر النِّيبِ أفضلَ مجدكم
بَنِي ضَوْطَرَى لولا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا"(١٠١)

أي: لولا تعدون الكمي، أو لولا تبارزون الكمي.

دلالات (لولا) التحضيضية:

إذا دخلت (لولا) على الفعل الماضي أفادت التنديم، وإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت السؤال، والتحضيض، يقول السكاكي:" الحروف المسماة بحروف التنديم والتحضيض وهي: هلا وألا ولولا ولوما مأخوذة منهما مركبة مع (لا) و(ما) المزيدتين مطلوبا بالتزام التركيب التنبيه على إلزام (هل) و(لو) معنى التمني، فإذا قيل:هلا أكرمت، أو ألا بقلب الهاء همزة أو لولا أو لوما فكأن المعنى ليتك أكرمت متولدا منه معنى التنديم، وإذا قيل هلا تكرم أو لولا فكأن المعنى ليتك تكرمه متولدا منه معنى السؤال"(١٠٢).

ويذكر ابن هشام أن (لولا) تكون للتحضيض والعرض، فتختص بالمضارع أو ما في تأويله نحو ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾(١٠٣) ونحو ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾(١٠٤) والفرق بينهما أن التحضيض طلب بحث وإزعاج والعرض طلب بلين وتأدب "(١٠٥)، وقال الشيخ عبد الغني الدقر: "العَرض" الطلبُ برفق، و"التحضيض" الطَلَب بشدَّة"(١٠٦).

كما ذكر ابن هشام أنها تكون للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي نحو ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾(١٠٧).

ويذكر الشيخ مصطفى الغلاييني الفرق بين التحضيض والتنديم، ويتمثل في " أن هذه الأحرف إن دخلت على المضارع فهي للحض على العمل وترك التهاون به، نحو: "هلا يرتدع فلان عن غيه...، لولا تستغفرون الله..، وإن دخلت على الماضي كانت لجعل الفاعل يندم على فوات الأمر وعلى التهاون به، نحو "هلا اجتهدت"، تقرعه على إهماله، وتوبخه على عدم الاجتهاد، فتجعله يندم على ما فرط وضيع. ومنه قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾(١٠٨).

(لولا) التحضيضية في الكتب الستة:

وردت (لولا) التحضيضية في موضعين في الكتب الستة، وهناك موضع ثالث محتمل أن تكون امتناعية، وأن تكون تحضيضية وذلك كما يلي:

الموضع الأول:

ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري: "أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذا يصلي، فترك ناضحه، وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبلغه أن معاذا نال منه، فأتى النبي-صلى الله عليه وسلم-، فشكا إليه معاذا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: يا معاذ أفتان أنت!. أو (فاتن) ثلاث مرات **"فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف**

(٩٩) سورة التوبة: ١٢٢.
(١٠٠) الجنى الداني في حروف المعاني:١/١٠٣.
(١٠١) شرح الرضي على الكافية:١/٤٧٠. والبيت من الطويل، وهو لجرير، انظر لسان العرب: جـ٤/ ص٤٨٩، والخصائص: ٢/٤٥. و شرح ابن عقيل:٤/٥٨.
(١٠٢) مفتاح العلوم: ١/١٣٨.
(١٠٣) جزء الآية من سورة النمل:٤٦.
(١٠٤) جزء الآية من سورة المنافقين:١٠.
(١٠٥) مغني اللبيب: ١/٣٦١، وقد ذكر ابن هشام أن بعضهم يرى أن (لولا) في قوله – تعالى: (لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ) استفهامية، وقد رد عليه بأنها للعرض.
(١٠٦) معجم القواعد العربية:٢/٨٥.
(١٠٧) مغني اللبيب: ١/٣٦١.وجزء الآية من سورة النور:١٣.
(١٠٨) جزء الآية من سورة الأحقاف:٢٨ ونص الشيخ مصطفى الغلاييني في جامع الدروس العربية:١/٨٣،وانظر تفصيل القول في:التنديم حروفه واستعمالاته في العربية بين تنظير اللغويين وتطبيق المفسرين دراسة تحليلية للباحث منشوره في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط جامعة الأزهر العدد ٢٧،١٤٢٩هـ _٢٠٠٨م.

وذو الحاجة "(١٠٩).

فـ(لولا) في الحديث تفيد التنديم واللوم على الإطالة في الصلاة؛ لأن الفعل بعدها جاء ماضيا.

الموضع الثاني:

ما رواه صفوان بن أمية: أن رجلا سرق برده، فرفعه إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فأمر بقطعه، فقال: يا رسول الله قد تجاوزت عنه. قال:"**فلولا كان هذا قبل أن تأتيني به يا أبا وهب، فقطعه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–**"(١١٠).

فـ(لولا) في الحديث تفيد التنديم على الصفح عن السارق بعد تحكيم الرسول– صلى الله عليه وسلم –؛ لأنه قال في حديث آخر: "**تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب**"(١١١).

الموضع الثالث:

وهو الموضع الذي يحتمل كون (لولا) فيه حرف امتناع، ويحتمل كونها حرف تحضيض، وهو الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "**مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون، ويقولون لولا موضع اللبنة**"(١١٢).

فقد علق الإمام ابن حجر بقوله: "(موضع اللبنة) بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره محذوف: أي لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملا، ويحتمل أن تكون (لولا) تحضيضية وفعلها محذوف تقديره لولا أكمل موضع اللبنة"(١١٣).

نتائج الدراسة

وبعد: فقد أفضت هذه الرحلة الاستقرائية والإحصائية مع (لولا) إلى نتائج أبرزها ما يلي:

١– رجحت الدراسة أن (لولا) تتركب من (لو) و(لا)، واستُدل على ذلك بدليلين.

٢– بعد عرض خلاف النحاة حول العامل في الاسم المرفوع بعد(لولا)، رجحت الدراسة رأي البصريين، واستدلت على ترجيحه بثلاثة أدلة.

٣– قدمت الدراسة إحصائية لورود (لولا) الامتناعية في الكتب الستة، حيث وردت في اثنين وستين موضعاً.

٤– جاء الاسم الواقع بعد (لولا) في الكتب الستة على ثلاثة أنواع، حيث وقع اسما صريحا في خمسة عشر موضعا، ومصدرا مؤولا بالصريح في ثلاثة وأربعين موضعا، وقد اتخذ المصدر المؤول بالصريح صورتين، أما الصورة الأولى فتتمثل في وروده مصدرا مؤولا من (أنْ) والفعل المضارع، وقد وقع هذا في اثنين وعشرين موضعا، وأما الصورة الثانية فتتمثل في وروده مصدرا مؤولا من (أنَّ) وجملتها، وقد وقع هذا في واحد وعشرين موضعا، وجاء النوع الثاني للاسم الواقع بعد (لولا) اسما مبهما في موضعين، كما جاء النوع الثالث للاسم الواقع بعد (لولا) ضميرا منفصلا في موضعين.

٥– دلالة(لولا) تتحدد بتحديد طبيعة تكوين جملتيها، ولذلك اقترحت الدراسة أن تسمى (لولا) بحسب دلالتها على ما بعدها، تجنباً لتسميتها بما لا تدل عليه في سياقها.

٦– عللت الدراسة قلة ورود صورتين من صور (لولا)، الصورة الأولى إذا كانت الجملتان بعدها منفيتين، والصورة الثانية إذا كانت الجملة الأولى منفية والثانية موجبة بأن تركيب الحرف (لولا) يشتمل على نفي، بدليل أن المتكلم إذا احتاج إلى نفي في الجملة الأولى بعد (لولا) فإنه –في الغالب– يجعله داخل الجملة، لا في صدرها.

٧– أحصت الدراسة أحوال جواب لولا من حيث اقترانه بلام التوكيد في الكتب الستة، حيث ورد جواب (لولا) ماضيا مثبتا مقترنا باللام في ثلاثة وأربعين موضعا، وقد ورد ماضيا منفيا في سبعة مواضع، كما ورد ماضيا مثبتا خاليا من اللام في موضعين، وورد مضارعاً منفياً بـ(لم) في ثلاثة مواضع ولم يرد جواب لولا ماضيا منفيا مقترنا باللام في أحاديث الكتب الستة.

٨– حذف الخبر وجوبا بعد (لولا)؛ لأنه كون مطلق ورد في الكتب الستة في كل المواضع ما عدا موضعا واحدا جاء فيه الخبر كونا مقيدا، ولم يدل عليه دليل.

٩– أحصت الدراسة مواضع حذف جواب (لولا) في

(١٠٩) صحيح البخاري:١/٢٤٩. و(ناضحين) مثنى ناضح، وهو ما استعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل . اللسان : نضح.
(١١٠) سنن النسائي: ٨/٦٨.
(١١١) سنن أبي داود: ٢/٥٣٨، والراوي عمرو بن العاص.
(١١٢) صحيح البخاري: ٣/١٣٠٠.
(١١٣) فتح الباري : ٦/٥٥٩.

الكتب الستة، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع.

١٠- لم ترد (لولا) التحضيضية في الكتب الستة إلا في موضعين وهناك موضع ثالث يحتمل أن تكون (لولا) فيه امتناعية، وأن تكون تحضيضية.

قائمة المراجع

١. أسرار العربية لعبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢. الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، مؤسسة الرسالة - بيروت،ط٣، ١٩٨٨م.

٣. إعراب لامية الشنفرى لأبي البقاء العكبري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٤. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين:لأبي البركات الأنباري، دار الفكر — دمشق.

٥. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، دار الجيل، بيروت،ط٥، ١٩٧٩ م.

٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧. التنديم حروفه واستعمالاته في العربية بين تنظير اللغويين وتطبيق المفسرين دراسة تحليلية ليحيى الحكمي مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط جامعة الأزهر العدد ٢٧، ١٤٢٩هـ _٢٠٠٨م.

٨. تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق عبد السلام هارون و"آخرون"،الدار المصرية لتأليف والترجمة، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٧٦م.

٩. جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠. جامع الدروس العربية للشيخ العلامة مصطفى الغلاييني، المكتبة الشاملة الإلكترونية.

١١. -الجامع الصحيح المختصر للبخاري الجعفي، دار ابن كثير،اليمامة،بيروت،ط٣، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.

١٢. الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي،تحقيق: طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

١٣. حاشية السندي على النسائي لنور الدين بن عبد الهادي أبي الحسن السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب،ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٤. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب، بيروت.

١٥. الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق:علي محمد معوض و"آخرون"، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٦. سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان لابن جني، لدار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

١٧. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٨. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، د.ت.

١٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المكتبة الشاملة الإلكترونية.

٢٠. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر - دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.

٢١. شرح سنن ابن ماجه للسيوطي،قديمي كتب خانة،كراتشي،د.ت.

٢٢. - شرح الكافية، للرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢٣. الصحاح في اللغة للجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٢٤. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.

٢٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي، ط١،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

٢٦. فتح الباري لابن رجب المكتبة الشاملة الإلكترونية.
٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٨. -فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
٢٩. الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٣٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار النشر/ دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣١. لسان العرب لابن منظور، دار صادر — بيروت، ط١، د.ت.
٣٢. المجتبى من السنن لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية،حلب،ط٢، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.
٣٣. المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
٣٤. معجم القواعد العربية للشيخ عبد الغني الدقر، المكتبة الشاملة الإلكترونية.
٣٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، دار الفكر، بيروت،ط٦، ١٩٨٥م.
٣٦. مفتاح العلوم للسكاكي، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، د.ت.
٣٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

Without: its Provisions and its Significance in the Hadith An Empirical Study in the Six Books

Y. M. Hakami

Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Jazan University, K.S.A.

Abstract

This study deals both analytically and statistically with the article "without" in three chapters. The first presents its form and how grammarians are divided over it; and while the second introduces its prohibitive function، the third introduces its urging function.

The study presents the theoretical and practical aspects of "without". First، it reviews its theoretical rules as discussed by grammarians، then، later، the rules are applied to the texts of the glorious Hadith in its six main books. The study gives more weight to Basra grammarians' views about: the way "without" governs its following noun; and the three variants of this noun; how the meaning of without is being defined according to its context; and how the answer in its sentences are being classified and specified. Besides، the study presents an accurate statistical frequency of the article with its types in the six books of Hadith.

Keywords: Without- form- prohibition- deletion- answer- negation- necessity- existence.

Email: dr.yahya@windowslive.com